دراسات متنوعة:

لغة الإشارة عند الصم
إشكال المصطلح بين النظرية والتطبيق

الدكتور عثمان أحمياني[1]
كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب

تبنى المصطلحات العلمية كيفما كانت طبيعتها لتعبر عن محتوى فكري دقيق، فتصير بذلك مفتاحا معرفيا نظريا في مجال علمي معين، ودليلا يجسر تلك التمثلات الذهنية/ النفسية للمصطلح بالأجرأة والتطبيق ميدانيا.

ويستدعي البحث في ميتولوجيا المصطلح جهدا وزمنا ليس باليسير لما خصه به الدارسون من تدقيق، وما اكتساه من أهمية قصوى لا يحدها الزمن قديما وحديثا.

فالمصطلح بمثابة خارطة طريق ترسم معالم المعرفة وتسيج مجالها وتدقق سماتها، فتحصن فهمنا وتمنعه من الزيغ عن الحقيقة المتواضع عليها فيكون لنا خير دليل وألمع نبراس يهدي الفكر والسلوك إلى الصواب نظريا ويحتكم إليه ميدانيا.

وانطلاقا من تدبيجنا أعلاه وارتباطا بعنوان المقالة التي تصرح بمصطلح لغة الإشارة بين المعنى المتواضع عليه علميا، وما تعكسه تمثلات وسلوكات معظم العامة والخاصة حوله، وما يطرحه كل ذلك من إشكالات انتهت بنا إلى التفكير في صياغة هذا المقال تدقيقا لمصطلح لغة الإشارة من جهة، وبسطا لما يدور في فلكها من طرق تواصل مرئية منفصلة عن بعضها من جهة أخرى. ويذهب معظم الخائضين في التواصل مع الصم إلى تعميم خاطئ يعتبرون من خلاله كل رسالة مرئية تستقبل عن طريق حاسة البصر هي من باب تنزيل مقتضيات لغة الإشارة. ولتصحيح هذا الخلط القائم سنرتكز في بناء هذه المقالة على تحليل معطيات بحث ميداني هَمَّ مجموعة من العاملين في المؤسسات التعليمية المغربية العاملة مع الأشخاص في وضعية إعاقة، فئة الصم، الذين يختصون بلغة الإشارة طريقة للتواصل بينهم ومع ذويهم من السامعين. إضافة إلى تحليل بعض الأعمال النموذجية المقدمة لتدريس الصم في الوطن العربي وما توصلت إليه أبحاث علمية بدول متقدمة نهضت بشكل قوي بوضعية الصم اللغوية والتواصلية والتعليمية...

لا ضير إذا ما شرعنا في مقالتنا هاته، التي تروم بعج مصطلحات لم تلق حقها في التحديد بالدقة التي ظهرت بها في الدراسات غير العربية، بكشف طرق التواصل المرئي وحدود الفصل بينها حتى يتسنى لنا إمكانية استيعاب كل طريقة تواصلية على حدة ونتعرف أيضا مدى قابلية كل طريقة للتطبيق والأجرأة في الواقع.

---

[1] عثمان احمياني، أستاذ التعليم العالي مساعد، شعبة اللغة العربية، تخصص لسانيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس . الرباط . otmanahmiani1@gmail.com

يفضي تحليلنا لمعطيات البحث الميداني الذي أجريناه داخل أسوار مجموعة من المؤسسات التعليمية الرسمية ومؤسسات أخرى للمجتمع المدني اشتراك المؤسسات التعليمية المغربية التي شملها البحث في استعمال طرق تواصلية متعددة تتراوح بين الطرق المرئية والطرق الشفهية وطرق أخرى بينهما. ومن الطرق المرئية التي صادفنا استعمالها نذكر لغة الإشارة[1] واللغة المؤشرة في حدود معينة،[2] ونظام الهجاء الإصبعي (أي أبجدية الإشارة العربية، أو ما يسمى في أدبيات التواصل مع الصم بالداكتلولوجي)،[3] وأحيانا أخرى التواصل الميمي منهجا أساسيا للتواصل بين المؤطرين والصم. في حين تتعدى بعض المؤسسات هذه المناهج في إعادة التأهيل إلى استعمال طرق تواصلية أخرى، كالطرق الشفهية الممثلة بمنهج تقويم النطق،[4] وقراءة الشفاه (lecture labiale)،[5] ومنهج التمديد الصوتي (verbo-tonale)،[6] ومنهج الديناميكية الطبيعية

---

[1] لغة الإشارة: هي اللغة الموصوفة معجميا وصرفيا وتركيبيا وقبل معجميا. أنظر لغة الإشارة الفرنسية ولغة الإشارة الأمريكية على سبيل المثال.

[2] اللغة المؤشرة: هي طريقة تواصل مرئية، قائمة على أنساق تواصل قواعد اللغات المنطوقة، ومن ثمة نتحدث عن اللغات المنطوقة المؤشرة فنقول: العربية المؤشرة، والفرنسية المؤشرة، والإنجليزية المؤشرة. للتوسع أكثر أنظر: روندال، جون وآخرين (1986).

[3] الداكتلولوجي: نظام تواصلي مرئي أبجدي يعمل على نقل كل الألفاظ المنطوقة/ المكتوبة من شكلها الخطي إلى صور مرئية بتمثيل صوامتها وصوائتها في الفضاء باليد. وهي طريقة تستعمل غالبا في الأشياء التي يصعب التعبير عنها بالإشارة اللغوية، أي التي ليس لها مقابل في المعجم الإشاري (أسماء الأعلام وبعض المعارف الحديثة المبهمة). لمزيد من التفاصيل أنظر: روندال، جون وآخرين (1986).

[4] تقويم النطق: طريقة تدخل ضمن التواصل الشفهي للأشخاص الصم، ويستفيد منها الأطفال الذين لا تتعدى حدة صممهم 60 دسبل والذين لا يتجاوز سنهم حين عملية التدخل ست سنوات. وتعتمد هذه الطريقة على تعليم الأطفال النطق بالأصوات انطلاقا من الإحساس بالأوضاع المختلفة التي يتخذها اللسان في الفم وكيف تتنوع الأصوات باختلاف وضعه في الفم. وتبقى نتائج هذه العملية التواصلية نسبية وذات مردودية لا تتعدى 50٪ من معدل التحصيل العام بطريقة أخرى.

[5] قراءة الشفاه: تقوم هذه الطريقة على فهم طريقة نطق وأداء الفونيمات ومعرفة ملامح الوجه التي تصاحب النطق بصوت معين. ويسمح تطور هذا النشاط المرئي الشفهي بتعويض العجز السمعي بنسبة تنافسية تصل 40٪ في أفضل الحالات. ويرتبط هذا المعدل بالذاكرة البصرية وذكاء الشخص المتعلم وسنه ودرجة صممه (صمم خفيف، صمم متنقل، أو صمم عميق). وقد وجهت لهذه الطريقة انتقادات عديدة خاصة حينما نتحدث عن الأصوات التي لا تبرز تغيرا على مستوى الشفاه أو ملامح الوجه عامة، مثل الأصوات الغارية. أنظر المرجع نفسه.

[6] التمديد الصوتي: استعمل هذه الطريقة الدكتور كوبيرينا Goberina. وتقوم على فكرة مفادها أن الإحساس بالصوت لا يتم فقط من خلال حاسة السمع، وإنما يمكن الإحساس به من نقط عديدة في

للكلام (dynamique naturelle de la parole).[1] وقد أفرزت البيانات نموذجا ثالثا للتواصل يقع بين الطريقتين الأولتين يمزج فيه بين ما هو شفهي وما هو إشاري حركي، لتكوين طريقة تواصلية قائمة بذاتها. ومن المناهج التي تدمج في هذه الطريقة نذكر: منهج نظام الكلام المكمل (langage parlé complété)،[2] ومنهج التواصل الكلي (communication totale).[3]

جسم الإنسان، كإحساس الصدر بالموجات الصاخبة. ومن ثمة، تعمل هذه الطريقة على تنمية قدرات الطفل الأصم بالإحساس بصوت معين انطلاقا من نقطة معينة من جسمه.

[1] الديناميكية الطبيعية للكلام: يعتمد هذا المنهج على معرفة السمات الدقيقة لكل صوت على حدة، ثم استغلال هذه الصفات في التعبير عنها بحركات جسدية توضح الصوت. فللتعبير مثلا عن الصائت "أ"، تنفتح ذراعا الشخص ورجلاه في حركة بطيئة ومتزامنة بعضلات مرتخية يتم من خلالها الإفصاح عن امتداد الصائت دون وجود أي حاجز. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الطريقة تعتمد قصد إكساب الطفل الإحساس بالصوت، ومن ثمة التنطيق. وتستعمل هذه الطريقة بالمغرب بجمعية الشروق للأطفال الصم بمدينة ورزازات.

2 نظام الكلام المكمل (Langue Parlée Complétée = L.P.C) ابتكر هذه الطريقة التواصلية الدكتور كورنت (1967) Cornett في واشنطن، وأعيدت بلورتها بنظام أكا (L'Alphabet des Kinèmes Assistés = A.k.A) ببلجيكا. ويصطلح على هذه اللغة في الإنجليزية بعبارة (cued speech)، ويقابلها في اللغة العربية مفاتيح الكلام. هذا النظام المساعد هو نظام مقطعي يتم خلاله ترميز المقطع انطلاقا من إعطاء شكل خاص لليد حيث يمثل هذا الشكل الصامت، ثم تأخذ اليد المشكلة موضعا على الوجه يبين نوع الصائت المرتبط بالصامت، الذي يشكل نواة المقطع.

فيؤدي الجمع بين شكل اليد وموضعته على الوجه إلى بناء مقطع صوتي تتوالى لتشكل كلمة...

[3] التواصل الكلي: طريقة برزت منذ بداية الثمانينات. وقد صادق على هده الطريقة الاتحاد العالمي للصم بوصفها منهجا مهما في إعادة تأهيل الأشخاص الصم في العالم العربي في ظل عدم وجود لغة إشارة معيار. وبرز أول الأمر في صيغة تعبير "الاتصال الشامل" كفلسفة تدمج ما يتناسب من طرق الاتصال السمعية والبصرية واليدوية والشفوية، وهو يشمل الإيماء والإشارة والقراءة والكتابة والرسم، وأي صيغة من شأنها إيضاح الاتصال وتيسيره. وتقوم عناصر البرنامج على اتباع الوسائل الآتية في آن واحد: لغة الإشارة، النطق، قراءة الشفاه، القراءة والكتابة. ويركز البرنامج أيضا على التدريب السماعي. إن التطور في فلسفة تعليم الصم نابع بالأساس من تغيير النظرة إلى تعليم اللغة من كونه عملية تقنية قائمة بذاتها إلى عملية تشمل تنمية الطفل ككل ولا يمكن فصلها عن وضعه الإجمالي، إذ لا يمكن لشخص أن يتعلم لغة ما بدون أن يمارسها ويستعملها في المواقف المختلفة. وبالتالي، فإن برنامج الاتصال الكلي يتخذ موقفا إيجابيا من المتغيرات الفردية ويأخذ بعين الاعتبار ما يتعرض له الصم من صعوبات في التكيف اجتماعيا ونفسيا وثقافيا. وأدى التطبيق الفعلي والتجربة العملية لهذا المنهج في العديد من البلدان إلى النتيجتين الآتيتين:

اعتمادا على ما توصلنا إليه، يمكن تقسيم طرق التواصل المستعملة في المؤسسات التي تعنى بتربية وتعليم وإعادة تأهيل الصم إلى ثلاثة أنماط تواصلية أساسية، تبعا للحواس المتدخلة في إدراكها، نوضحها في الخطاطة الآتية:

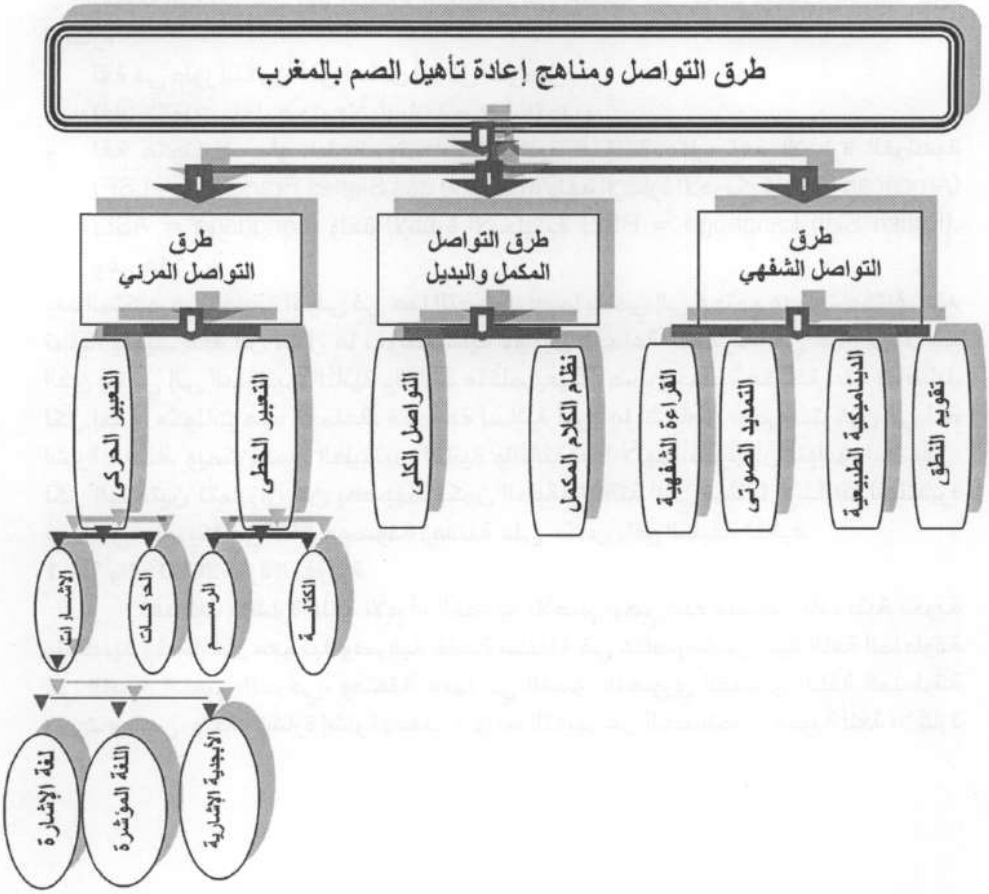

1. التواصل البصري

يمزج العديد من العاملين في ميدان تعليم الصم وإعادة تأهيلهم بين طرق التواصل البصري (لغة الإشارة، واللغة المؤشرة، ونظام الهجاء الإصبعي). خاصة بين أسلوبين تواصليين هما لغة الإشارة واللغة المؤشرة. إنهم يعتقدون أن المنهجين مرادفان لمعنى واحد

- لم يعد صحيحا الأخذ بالفكرة القديمة القائلة بأن استعمال لغة الإشارة يعوق نمو اللغة المنطوقة والمكتوبة.

- بدأ الاعتراف المتزايد بلغة الإشارة وتقبلها وتحويلها من إشارات بدائية وبيتية إلى لغة لها بنيتها وقواعدها.

يفيد عملية التأشير اللغوي، إلا أن هذين الأخيرين لا يشتركان سوى في المعجم الإشاري الذي يستعملانه، أما خصائصهما اللغوية فلا تقارب أو توافق بينها.

1.1 لغة الإشارة

يقودنا الحديث عن لغة الإشارة الطبيعية إلى التمييز بين ثلاث طبقات مختلفة للغة الإشارة:

أ. لغة في طور التكون على أساس أنساق التواصل.[1]

ب. لغات تكونت داخل مجتمعات لسانية صعبة التحديد.[2]

ج. لغة مكونة في أوساط المجتمعات اللسانية المقننة مثل: لغة الإشارة الفرنسية (Langue des Signes Française = LSF)، ولغة الإشارة الأمريكية (American Sign Language = ASL)، ولغة الإشارة الإنجليزية (British Sign Langauge = BSL)، وغيرها.[3]

يعد المتكلم من الطبقة الأولى في هذا التصنيف أصما ينتمي إلى مجتمع مصوت مختلف عنه تماما، يتكيف معه من خلال ما تفرضه عليه قوانين الجماعة المصوتة، في حين أن الأصم الذي ينتمي إلى الطبقتين الثانية والثالثة متكَلِمٌ يعيش ضمن جماعة مختلفة عنه تواصليا، لكن إحدى مكونات هذه الجماعة، مجموعة لسانية أفرادها أشخاص صم يشتركون في لغة إشارة معينة. ويمكن دمج الطبقتين الثانية والثالثة معا لأنهما نموذجان لتوافق اجتماعي، لكن الطبقتين تتمايزان عن بعضيهما بكون الطبقة الثالثة التي تمثلها الإشارات المنتشرة في أوروبا وأمريكا هي لغات موصوفة ومقننة على عكس واقع الطبقة الثانية.

1.1.1 واقع لغة الإشارة المغربية

تعد لغة الإشارة اللغة الأم أو الفطرية للأصم. وهي لغة مستقلة ذات بنية نحوية وتركيبية وخصائص معجمية وصرفية خاصة مختلفة في عناصرها عن بنية اللغة المنطوقة في النسق الحسي-الحركي، ومتفقة معها في النسق التصوري القصدي (اللغة المنطوقة صوت ومعنى، ولغة الإشارة إشارة ومعنى). ويتم التعبير عن الخصائص النحوية للغة الإشارة

---

[1] أنظر ظهور لغة الإشارة عند أصم معزول. وأنظر مثلا لغة أصم من أبوين مستمعين يتواصلان بواسطة لغة منطوقة. في هذه الحالة يتنحى الاستعداد الفطري لإنتاج لغة الإشارة الطبيعية الفطرية ذات البنى التركيبية والخصائص المعجمية والنحوية اليدوية المرئية الخاصة، ويسود اكتساب لغة إشارة تمتزج فيها الخصائص التركيبية والنحوية للغة المنطوقة بالمعجم الإشاري لإنتاج لغة مؤشرة تقوم على أساس أنساق التواصل المنطوق حسب نباهة وذكاء الفرد المنعزل. هكذا كان حال أغلب الصم في ما قبل القرن العشرين إذ كان الاهتمام بفئة الصم أمرا نادرا، إن لم نقل منعدما، لأن الصمم في تلك الآونة كان يعتبر عيبا يتستر عليه بوصفه معطلة أو عقابا إلـهيا.

[2] المقصود بلغات هذه الطبقة أن معجمها نتاج لتوافق مجتمعي، إلا أنها لم تمعير بعد.

[3] أنظر دولونك (2003) (De Langhe) وآخرين.

من خلال تعابير الوجه، وحركة الرأس والكتفين، وبعض الحركات اليدوية في الفضاء عبر المتغيرين التوجيه والوجهة.[1]

تواجهنا في محاولة تصنيف لغة الإشارة المغربية ضمن طبقة من الطبقات المذكورة أعلاه إشكاليات معقدة، خاصة وأن لغة الإشارة المغربية تشكل مشهدا لغويا متنوعا يختلف باختلاف الروافد الثقافية واللغوية الاجتماعية لكل منطقة على حدة. ولذلك، اعتمدنا في بحثنا في عملية التصنيف على لغة الإشارة التي يتعلمها ويتعامل بها الصم في مقاعد المؤسسات التعليمية، دون الاهتمام بالتنوع اللغوي الإشاري الحاصل خارج العينات التي تقدمها المدارس. ولتحقيق هذا الغرض أجرينا بحثا ميدانيا معتمدين استمارة خُصَّ بملئها المدرسون والمؤطرون التربويون الذين تجمعهم بالصم علاقة مباشرة في جمعيات ومؤسسات تعليمية تأهيلية خاصة وعمومية بمناطق ونواحي مختلفة من تراب المملكة المغربية.[2]

تتضمن الاستمارة مجموعة من الاستفسارات، منها ما يتعلق بالبحث عن ماهية طريقة التواصل المعتمدة في المؤسسة، ومنها ما يبحث في ماهية الخصائص اللغوية التركيبية، وكيفية توزيعها وتقديمها في طريقة التواصل المتبناة من طرف المؤسسة. وتوضح الاستمارات صعوبة الجزم في تصنيف لغة الإشارة المغربية وتأطيرها ضمن طبقة أو وضع معين من الأوضاع السالفة الذكر.

تتقاطع لغة الإشارة بالمغرب مع الطبقة الأولى من التصنيف المذكور أعلاه في كونها قائمة على أنساق تواصل لغة منطوقة هي اللسان المغربي في تنوعاته، كما تتقاطع مع الطبقة الثانية والثالثة في كونها توافق طبيعي لمجموعة لسانية هي شريحة الصم، بينما تختلف عن الطبقة الثالثة للغة الإشارة في أنها لم توصف ولم تُمَعْيَرْ بشكل يجعلها تنتمي لهذه الطبقة.[3]

2.1 العربية المؤشرة

العربية المؤشرة ترجمة أو نقل مباشر للغة المنطوقة/ المكتوبة بخصائصها الصرفية والتركيبية، أحيانا معجميا وأحيانا أخرى هجائيا. إنها منهج تواصل قائم على أنساق وقواعد لسان آخر موصوف وممعير ليس من جنس لغة الإشارة. وتعد هذه اللغة الطريقة الأكثر انتشارا في

---

[1] أنظر تفاصيل الظواهر اللغوية المذكورة أكثر ضمن: احمياني عثمان، 2011. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة بعنوان: "تركيب لغة الإشارة بالمغرب دراسة مقارنة". الفصل الثالث الخاص بمناقشة رتبة وتركيب لغة الإشارة. وحدة البحث: اللسانيات العربية المقارنة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط.

[2] جمعية حنان بتطوان (1969)، الجمعية المغربية للأطفال الصم بالجنوب بآسفي (1989)، جمعية حماية ورعاية الصم بأكادير (1994)، جمعية الكتبية للصم بمراكش (1997)، القسم المدمج بنيابة الجديدة، مدرسة المقاومة (2001)، القسم المدمج بنيابة إقليم تزنيت (2004).

[3] ليس للغة الإشارة المغربية قواعد تركيبية محددة. وتبقى المحاولات التركيبية التي تستعملها بعض المؤسسات في التواصل مع الصم إما اجتهادا خاصا، وإما تطبيقا تاما لبعض المقررات التعليمية للغة إشارات فرانكفونية مقننة مضبوطة. وهذا التكييف نادر الوجود إن لم نزعم نفي وجوده بالمرة حسب ما لاحظناه من استعمال غير ممنهج.

الأوساط الاجتماعية للمؤشرين الصم وذويهم من السامعين؛ ذلك أنهم يعبرون بلغة الإشارة عن اللغة المنطوقة، كما يبدو ذلك من خلال الملاحظات التي سجلناها في المواقع التي تستعمل هذه الطريقة كوسيلة تعليمية داخل مؤسستها. وتتعدد اللغات المؤشرة بتعدد اللغات المنطوقة، فنقول مثلا: العربية المؤشرة،[1] والفرنسية المؤشرة،[2] والإنجليزية الأمريكية المؤشرة. وتجدر الإشارة إلى أن الفرنسية والإنجليزية المؤشرتين قد مرتا بمسار تطوري جعلهما أكثر دقة من نظيرتهما العربية، التي لا تستطيع مواكبة كل حيثيات اللغة العربية المنطوقة المكتوبة. وتؤكد ذلك الأمثلة الموضحة في المشاهد الواردة في (1).[3]

يؤشر المثال (1أ) للفعل *أكل* في الماضي مع ضمير الغائب المفرد *هو*، ويؤشر (1ب) للفعل نفسه مع ضمير الغائب المفرد المؤنث *هي*، ثم مع ضمير الغائب المثنى المذكر *هما* في (1ج)، ومع ضمير الغائب المثنى المؤنث *هما* في (1د)، ومع ضمير الغائب الجمع المؤنث *هن* في (1هـ)، ومع ضمير الغائب الجمع المذكر هم في (1و):

(1)

أ. أكَلَ

ب.

ج. أكَلَتْ[4]

---

[1] العربية المؤشرة هي الطريقة التي تمتاز بالحيوية في تواصل الصم داخل المؤسسات التعليمية وفي وسطهم ومحيطهم الاجتماعي عامة.

[2] نميز في الفرنسية المؤشرة بين طريقتين؛ الفرنسية المؤشرة الخفيفة le français signé souple ، والفرنسية المؤشرة الكاملة le français signé complété، تنقل الأولى معجم اللغة الفرنسية وبعض الحروف دون ترجمة للخصائص النحوية الفرنسية بأكملها، فيكون هدفها الأساسي هو إفهام المتلقي الخطاب المراد إرساله، بينما تعمل الطريقة الثانية على ترجمة كل الخصائص النحوية للغة الفرنسية إلى إشارات لغوية. وهذا ما لا نستطيع تطبيقه في العالم العربي، ذلك أن العربية المؤشرة الخفيفة هو ما يمكن التحدث عنه في نظام ترميز اللغة العربية.

[3] أبو العطايا، عبد الكريم (2002).

[4] المرجو ملاحظة كيفية أداء تاء الفاعل المتحركة إشاريا الدالة على مفرد الغائب المؤنث "تْ" مع نضيراتها "تَ" المخاطب المذكر، "تِ" المخاطب المؤنث، "تُ" المتكلم الذكر والمؤنث.

د. أكَلا

د. أكَلَتا

هـ. أكَلْنَ

و. أكَلوا [1]

[1] وضعت ألف المد/ ا / خلف واو الجماعة لأنها تكتب ولا تلفظ.

يؤشر المثال (2.أ) للفعل *أكل* في الماضي مع ضمير المخاطب المفرد المذكر *أنتَ*، ويؤشر (2ب) للفعل نفسه مع ضمير المخاطب المفرد المؤنث *أنتِ*، ثم مع ضمير المخاطب المثنى الدال على التذكير والتأنيث *أنتما* في (2ج)، ومع ضمير المخاطب الجمع المذكر *أنتم* في (2د)، ومع ضمير المخاطب المؤنث في صيغة الجمع *أنتن* في (2هـ).

(2)

أ. أكَلْتَ

ب. أكَلْتِ

ج. أكَلْتُما

د. أكَلْتُم

هـ. أكَلْتنَّ

يؤشر في المثال (3أ) للفعل *أكل* في الماضي مع ضمير المتكلم المفرد الدال على التذكير والتأنيث *أنا*، ويؤشر (3ب) للفعل نفسه مع ضمير المتكلم الدال على التأنيث والتذكير في صيغة الجمع *نحن*.

(3)

أ. أكَلْتُ

ب. أكلنا = أكل+ دلالة الماضي+ نا المتكلمين [1]

تعكس الأمثلة الموضحة أعلاه نموذجا ومثالا متطورا في العالم العربي عن تعليم اللغة العربية في قالب إشاري. ورغم هذا يبدو واضحا عدم تمكن هذه الطريقة من مواكبة دقة اللغة العربية وحيثياتها التركيبية والصرفية والمعجمية حتى في أبسط التراكيب والعبارات.

في المثال (1أ) تقدم العربية المؤشرة الفعل *أكلَ* في إشارتين تدل الأولى على الحدث *أكلَ* وتدل الإشارة الثانية على الوعاء الزمني الذي ظرف الحدث فيه وهو *الزمن* الماضي، بينما لا تنم هاتان الصورتان معا عن أي فاعل صريح قام بهذا الحدث، أو ضمير مستتر محتمل تقديره بضمير الغائب المفرد المذكر هو القائم بدور الفاعل، إضافة إلى عدم تحديد بعض الخصائص اللغوية التركيبية والدلالية كتبيان جهة الحدث؛ تمام أو لا تمام، وكذلك عناصر التطابق.

---

[1] نا: توضع على الصدر دلالة على الفاعل.

ويبرز قصور اللغة العربية المؤشرة عن مواكبة اللغة العربية المنطوقة بدقة أيضا بالرجوع إلى الدلائل التي لا نجد فيها للكلمة *أكل* إلا مفردة واحدة نعبر بها عن كل الاشتقاقات المعجمية من مصدر وفعل ومشتقات الفعل مما يربك عملية تحديد هوية الصيغة المقدمة: هل هي فعل أم مصدر أم غير ذلك من الاشتقاقات الدالة.

أما إذا انتقلنا إلى المثال (1ج) فسنجد أن الفعل *أكل* قد قدم معية فاعل مستتر تقديره ضمير الغائب المثنى المذكر، دون أن تبرز الإشارات المبثوثة للدلالة على الفعل *أكلا* زمن الحدث؛ إذ قدمت الصورة الأولى إشارة الفعل *أكل*، بينما ترسم الإشارتان اللتان تتلوان الفعل الضمير المتصل الدال على المثنى الغائب المذكر، إذ تقدم الصورة الأولى زيادة الألف (التي تقابل ألف الاثنين في اللغة العربية المنطوقة) وبعدها تقدم إشارة تدل على التثنية، وبالتالي يبقى تمام فهم المعنى من تمام فهم الصور الثلاثة كلها.

يستعصي فهم الفعل المؤشر *أكلا* للأسباب التالية:

- غياب عنصر الزمن والجهة والضمير المستتر المضمنة في الفعل *أكلا*.
- استعمال المؤشر أثناء تقديمه لهذا الملفوظ طريقتين مختلفتين للتعبير دون سابق إشعار، إذ ينتقل المؤشر من التعبير عن العربية بالإشارات في تأديته إشارة *أكل* إلى التعبير عن العربية بالأبجدية الإشارية في تأديته للمثنى.
- احتمال جهل المتلقي طريقة الأبجدية الإشارية، أو التباسها بالإشارات المعجمية الدالة على معنى عند المزج بين الطريقتين.
- اللغة العربية تحتمل إمكانية الإضمار والإخفاء (الضمير المستتر) عكس لغة الصم التي تقتضي الإظهار والتبيين.

تتكرر الملاحظات نفسها على مستوى المشاهد اللاحقة، ففي المشهد (1و) الموضح لعبارة *أكلوا* تفصح الصور عن غياب نفس العناصر التركيبية المذكورة أعلاه، إضافة إلى ظهور تقنية أخرى في التعبير بالأبجدية العربية عن بعض العلامات اللغوية التي تكتب دون أن تنطق (يوضح المشهد ظهور الألف خلف واو الجماعة لعدم ثبوت النطق به). وهذا هو المقصود بقولنا إن اللغة المؤشرة ترجمة للغة المنطوقة المكتوبة بخصائصها المعجمية والصرفية والتركيبية. وتقتضي هذه الوسيلة كما ستوضح الأمثلة الموالية أن يكون الشخص الأصم مزودا سلفا بمبادئ اللغة العربية المسموعة المنطوقة، وإلا فإنه لن يفهم دور الألف المبثوثة خلف الواو كما يبين ذلك المشهد (1و).

لا تدل عملية التأشير للأمثلة الموضحة للتثنية والجمع في شخص المتكلم، والمخاطب، والغائب، تذكيرا وتأنيثا في العربية المؤشرة بالصور: (1ج) و(1د) و(1و) و(2ج) و(2د) و(2هـ) و(3ب)، على وجود لاصقة التثنية أو الجمع معجميا مقترنة بالحدث أكل، بينما تحضر هذه اللواصق النحوية هجائيا (الأبجدية الإشارية) في نظام يعتمد الخطية في الحروف المؤدية دورا في النطق، وإخفاء غير المنطوقة خلف المنطوقة.

تثير الأمثلة الموضحة للمفرد في مختلف تقاليب تحويل الشخص والجنس مجموعة من الإشكاليات والتناقضات في طريقة تأشيرها، فنجد مثلا في *أكَلتُ*، *وأكَلتَ*، *وأكلتِ*، *وأكلتُ*، المؤشر لها في الصور (1ب) و(2أ) و(2ب) و(3أ) أن مسألة التمييز بين تاء الغائبة، وتاء المخاطب، وتاء المخاطبة، وتاء المتكلم، ليس تمييزا مبنيا أو ممعيرا وانما هو تمييز عشوائي وعفوي. في (1ب) يؤشر للحدث *أكل* معية زمن الحدث دون أدنى إشارة للضمير المفرد الغائب المذكر مثله في ذلك مثل اللغة العربية المنطوقة في

كتابة الحدث، في حين تبرز تاء التأنيث الدالة على الغائب المفرد المؤنث إلى جانب الكتف الأيسر للمؤشر في اتجاه الخلف ووجهة صفحة اليد إلى الأعلى دلالة على الشخص الغائب، وتوضح هيئة اليد حرف التاء (مشير مزدوج) التي توحي بأن نوع جنس الغائب المفرد مؤنث وليس مذكرا.

قد تفضي بنا هذه العمليات إلى فهم مدى تركيز المؤشر على الأشياء الملموسة والظاهرة ذلك أن لغة الإشارة لغة مرئية، لكن هذا التحليل لا يفي بالمطلوب أثناء عملية التأشير على المفرد المخاطب تذكيرا وتأنيثا في المشهد (2أ) و(2ب).

يكتنف اللبس عملية إيضاح التأنيث والتذكير، ذلك أن التمييز بينهما يكمن في تأدية اللاصقة ـتَ الدالة على مفرد المخاطب المذكر ووجهة صفحة اليد إلى الأعلى بيد على هيئة تأشير مزدوج، وأن تأشير ـتِ الدالة على مفرد المخاطب المؤنث تتم بنفس الهيئة مع قلب وجهة صفحة اليد مجموعة إلى الجسد شيئا ما. لكن ما يثير الانتباه هو: هل في دلالة التأنيث والتذكير قاعدة ثابتة تسري على كل تمظهراتهما في اللغة المؤشرة؟

توافق العربية المؤشرة اللغة العربية المنطوقة في إبراز التاء الدالة على المفرد المخاطب. فإذا كانت الأولى تتم بطريقتين مختلفتين (موضعة هيئة المشير المزدوج في الفضاء في اتجاه الأمام بوجهة إلى الأعلى أو إلى الأسفل مع ضم اليد إلى الجسد قليلا)، فإن الاختلاف في الثانية يبرز من خلال الصائتين ـَ وـِ . وينتفي هذا الاختلاف مع باقي الضمائر في العربية المؤشرة. ومثال ذلك:

تعبر اللاحقة (ـــتُ) في العربية المنطوقة على مفرد المتكلم في التذكير والتأنيث معا بحسب جنس الشخص المتكلم، لكنها في العربية المؤشرة تظل محل لبس إذ يقدم مشهد واحد للتعبير عن المذكر والمؤنث. الأمر نفسه بالنسبة *لأكلنا*، *وأكلتم*، *وأكلتن*، *وأكلوا*، *وأكلن*، فلولا حضور الأبجدية الإشارية ما تم التمييز بين التأنيث والتذكير.

نستنتج مما سبق أن العربية المؤشرة هي طريقة قاصرة عن مواكبة دقة وتطور اللغة المنطوقة، مما يجعل من تطوير لغة الإشارة الأم للأصم أمرا صعبا، ووصفها للرفع من جودة تأديتها للعربية المنطوقة ضرورة ملحة. وفي إطار هذا التطوير، يجب الفصل بين اللغة العربية المؤشرة والأبجدية الإشارية وجعلهما طريقتين قائمتين بذاتهما، سيما وأن قصورهما عن التعبير عن كل الخصائص النحوية والمعجمية للغة يؤدي إلى اللبس أحيانا كثيرة. وفيما يلي نموذج عن كيفية ترجمة نص كامل من العربية المنطوقة إلى المؤشرة:

قال تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد). تصبح سورة الإخلاص في العربية المؤشرة كما يلي:

(4) *قال هو الله واحد الله القوي لم ولادة لم ولادة لم له مماثل واحد.*[1]

---

[1] الصور المترجمة لسورة الإخلاص مقتبسة من دليل الإشارات الموحدة بالمغرب. ونروم ن خلال هذا المثال بيان ضعف وعجز قاموس لغة الإشارة المغربي في تلبية مقتضيات تمام اللغة العربية المنطوقة على جميع أصعدة اللغة (المعجم، التركيب، الصرف).

3.1 نظام الهجاء الإصبعي

يقصد بها أبجدية لغة الإشارة أو الداكتلولوجي؛ فإذا كانت اللغة المؤشرة ترجمة لغوية مستوفية لكل خصائص وحيثيات لغة شفهية إلى لغة مؤشرة مرئية، فإن عمل أبجدية الأصابع يقوم على نقل لسان معين بخصائصه النحوية والمعجمية والصرفية والتركيبية، ليس بواسطة الإشارات اللغوية الدالة على لواصق أو لواحق صرفية أو على جملة أو مركب إسمي، وإنما بواسطة هيئات يتخذها اليد في الفضاء توازي فونيمات اللغة المنطوقة (أي أبجديتها الصوتية). أنظر لائحة أبجدية الإشارات العربية في المشهد (5):[2]

---

[1] يؤشر المؤطرون لمفردة الولادة في مناطق شمال المملكة المغربية بجعل اليدين مبسوطتين، ووجهة راحتي اليد متقابلتين، وتموضع اليدين أعلى البطن ثم تتحرك في اتجاه الأسفل في حركة متوسطة السرعة، وتؤدي ملامح الوجه تعبير الألم دليلا على عسر الولادة.

[2] القاموس الإشاري العربي للصم (2002).

(5) أبجدية الإشارة العربية

ما ينفذ باليد الأولى:[1]

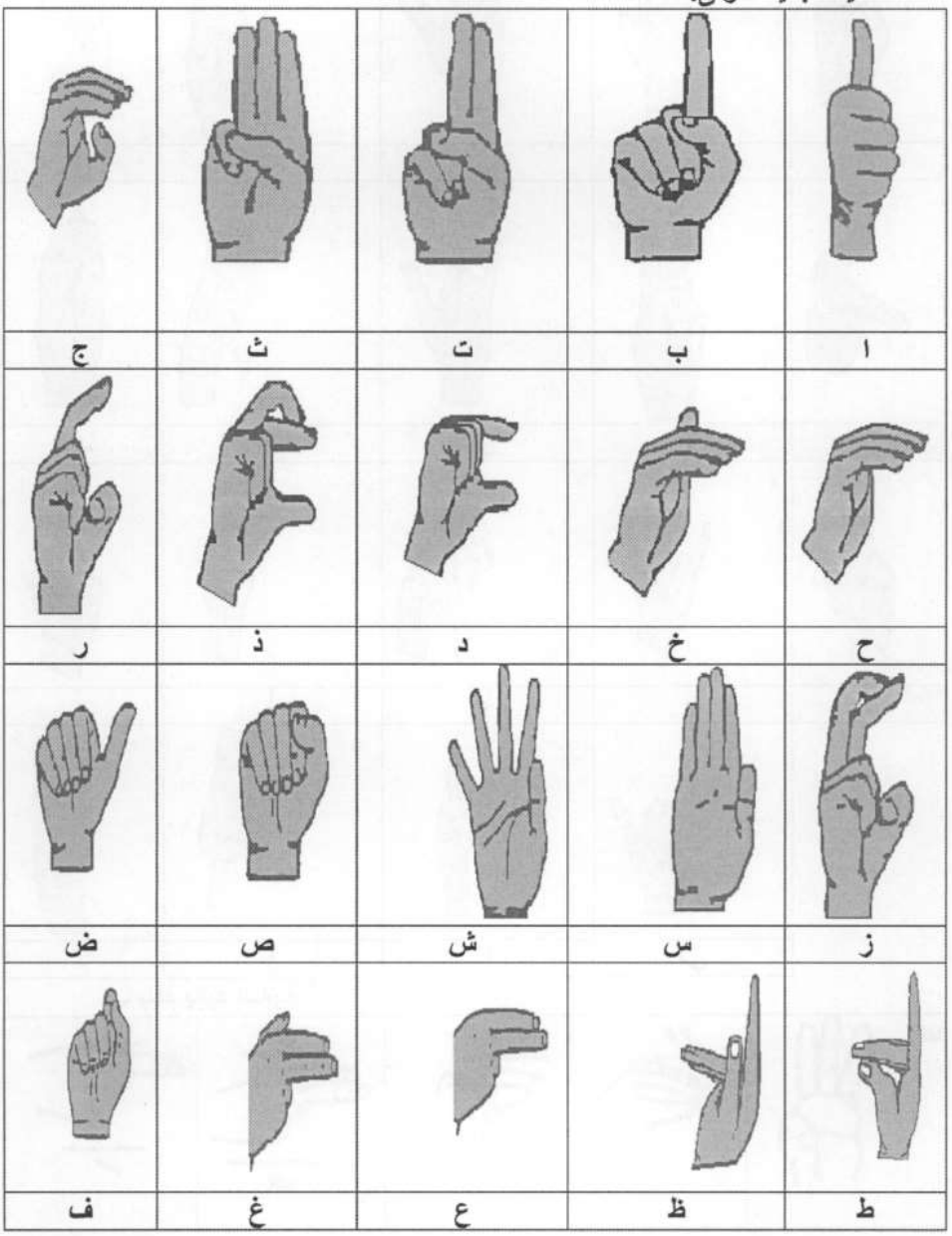

[1] تنفذ الصوامت كلها بنفس اليد، ولا يمكن استخدام اليد الثانية إلا في أداء الصوائت المرافقة للصامت.

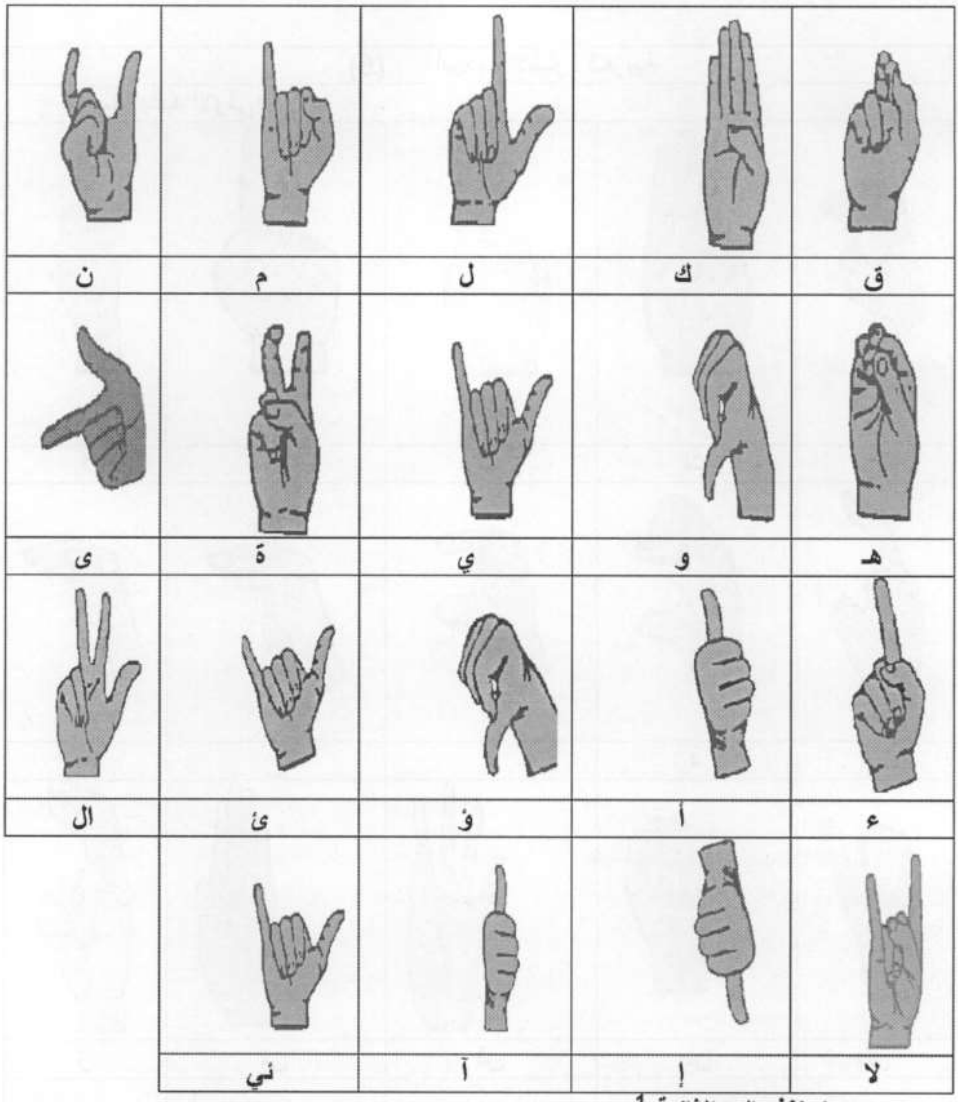

ما ينفذ باليد الثانية:[1]

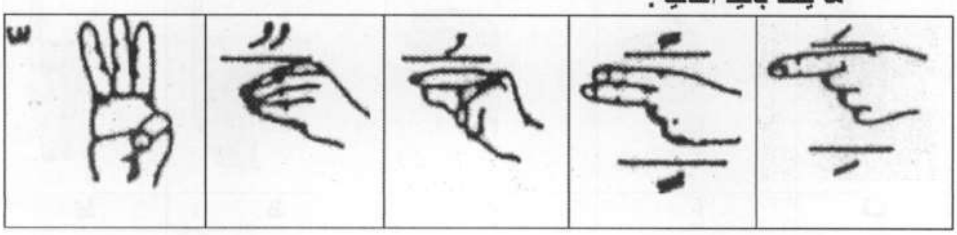

[1] منشور ألفته وزارة المعارف، الأمانة العامة للتعليم الخاص معهد الأمل للبنين بمكة المكرمة، ص. 1.

الفتحة أو الكسرة فوق أو تحت الصامت	الشولتين بنفس طريقة الفتح والكسر	الضمة فوق الصامت	شالتي الضم	الشدة للأصوات المضعفة

تمكن طريقة الهجاء الإصبعي مستعملها من تهجئة الكلمات وقراءتها وتذكرها.

ولا نجد في الأبجدية الإشارية استعمالا لكلتا اليدين في التمثيل للصوامت، بينما يمكن الاستعانة باليد الثانية حالما نود استعمال الصوامت بحركاتها (الصوائت) في تأدية الكلمات الملتبسة كتمييز جَدّ من جِدٍّ مثلا.

وتكتب الكلمة في مكان واحد من غير تحريك اليد من اليمين إلى اليسار (فقدان الخطية)، مع مراعاة اتباع طريقة كتابة الكلمة؛ أي توالي الحروف المكونة للكلمة.

وتختلف الأبجدية الإشارية من لغة إلى لغة أخرى كما هو حال كتابة الأبجديات في اللغة المنطوقة، فنجد مثلا: أبجدية الإشارة العربية وأبجدية الإشارة الفرنسية...

ونبرز نموذجا من الاختلاف بين الأبجديات انطلاقا من الأبجدية العربية والأبجدية العالمية والأبجدية الأمريكية في (12):

(6)

أبجدية الإشارة العربية[1]	أبجدية الإشارة العالمية[2]	أبجدية الإشارة الأمريكية[3]
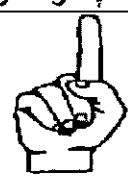		
ب	B	B
ز	Z	Z

ينبغي الانتباه عند تطبيق عملية الكتابة بالأبجدية الإشارية إلى الملاحظات التالية:

- تكتب الحروف بالإشارة أمام الصدر في موضع يستطيع معه القارئ الإلمام بتغيرات ملامح الوجه أيضا.

---

[1] معهد الكويت للأبحاث العلمية وآخرون (2002). القاموس الإشاري العربي للصم.

[2] كلود، بروكتور (1995) Ph.D. Claude O. Proctor، ص. XIII.

[3] نفسه، ص. XII.

- تسلسل الكتابة في الفضاء دون توقف بين حرف وآخر لأن التوقف يؤثر سلبا على قراءة وفهم المشاهد/ المتلقي.
- بناء الحروف الأخيرة من الكلمة مدة أطول من المدة الزمنية المخصصة لبناء باقي مكونات الكلمة للدلالة على انتهاء كلمة معينة وأن ما يليها من تأشير أبجدي هو بداية كلمة جديدة.[1]

وندرج في (13) عبارة "اللسانيات العربية واللهجية" مكتوبة بأبجدية الإشارة العربية مستعملين المربعات الفارغة مؤشرا للفسح الدالة على انتهاء الكلمة:

(7) اللسانيات العربية واللهجية

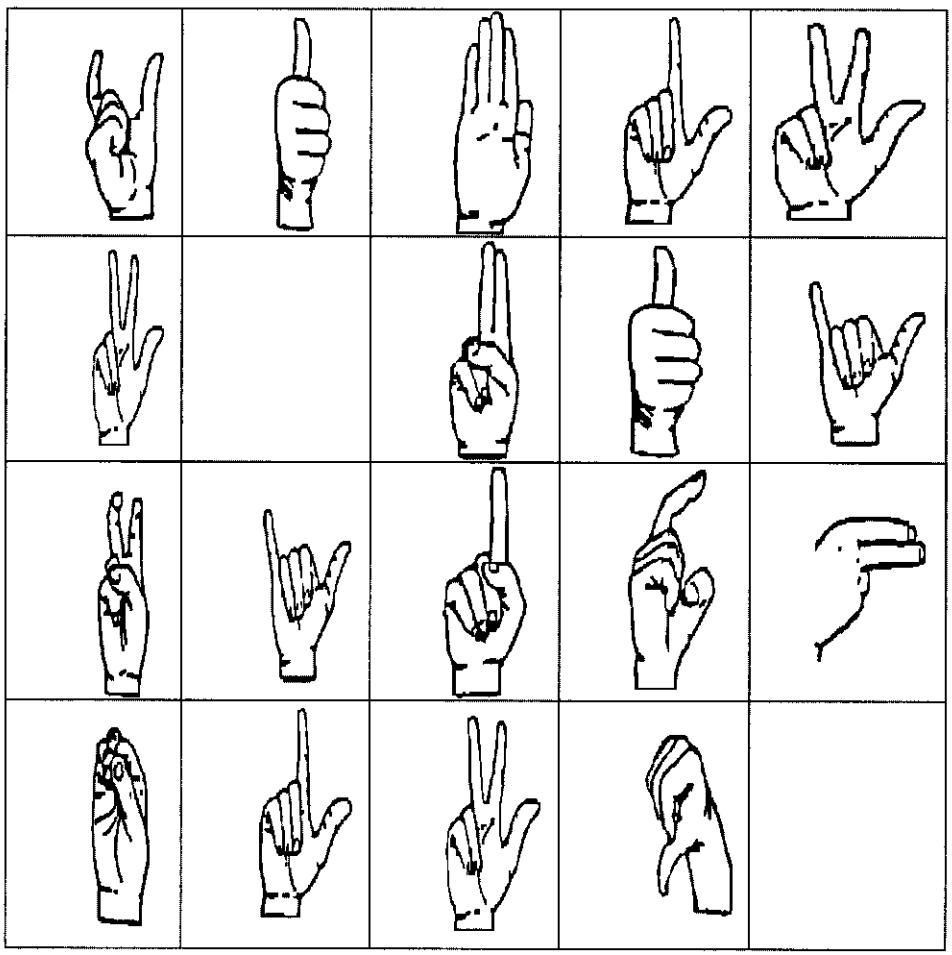

[1] عبد الحميد سويد، عبد الله (1983).

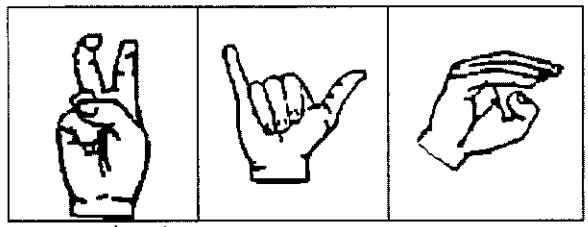

يبدو واضحا من خلال المثال أن الأبجدية الإشارية طريقة تواصلية اصطناعية للصم الذين سبق لهم أن تعرفوا أصوات العربية المنطوقة، وذلك إما لإصابتهم بالصمم في سن متأخر، أو لأنهم من فئة الأشخاص المصابين بالصمم المتنقل، أو من الذين لا ينزل مستوى درجة السمع عندهم عن 60 دسبل.[1] وبالتالي، يمكننا القول إن هذه الطريقة حكر على الفئة المتعلمة والمؤطرة في جمعيات أو مؤسسات تعنى بتربية وتعليم وإعادة تأهيل هذه الفئة، وإنها ليست لغة طبيعية كما يذهب إلى ذلك البعض، وإنما هي طريقة تواصلية اصطناعية تم اختراعها منذ العلاقات الأولى التي جمعت السامعين بالصم، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في بداية هذا الفصل، بفرنسا وبعدها بأمريكا على يد روشيستر Rochester الذي أخذت الطريقة اسمه في أمريكا.

لا يتمكن الصم من التخاطب بغير لغة الإشارة وسيلتهم للتواصل. وتتنامى هذه اللغة أكثر عندما تتكون داخل مجموعة لسانية معينة لها مقومات قدرة وإنجاز موحدة، حيث يرتقي مستوى الأصم من التعبير عن الاحتياجات الضرورية له كفرد إلى التعبير عن قضايا عامة، وذلك عن طريق المخالطة والاحتكاك وتلقي التعليم السليم في لغته الأم (لغة الإشارة). أما عن موقفه من هذه اللغة، فإن الأصم يرى في لغته الوسيلة الأنسب للتعبير عن احتياجاته وعامة أفكاره، خاصة وأنه لا يمتلك مقومات التعبير الشفهي، كما يرى أن شريحة الناطقين يجب أن تنفتح على هذه اللغة، في مقابل رفضه أن ينظر الناس إليه كمنتمي إلى شريحة معاقة: "معاق مقارنة بماذا؟ إذا كان تغير وراثي إحيائي ناتج عن انفجار خلوي سيجعل السلوكات السمعية لغالبية البشر غير مستعملة، فإن الذين سيصوتون بعد ذلك سيصبحون معاقين إذن مقارنة مع العدد الأكبر..."[2]

وتفصح مجمل الدراسات التي قمنا بها في الميدان عن أن التواصل المرئي مع الأشخاص الصم من أكثر الطرق نجاعة في توصيل فكرة معينة على جميع الأصعدة التعليمية والمهنية، لدرجة أن بعض المؤسسات المعنية برعاية هذه الفئة تحرم بالقانون الداخلي لمؤسساتها عملية التصويت على أي كان بعد مدخل المؤسسة. وأمام هذا الوضع يتساءل العديد من المهتمين

---

[1] يعني قولنا هذا أن الأبجدية الإشارية منهجية يتعامل بها حصريا الأشخاص المتمدرسون، والذين سبق لهم التعرف على الأصوات اللغوية نطقا، إما لأنه يندرج ضمن الصمم الخفيف بنوعيه أو لأنه لم يصبه الصمم إلا في فترة لاحقة من عمره بعد أن تعلم أصوات اللغة المنطوقة وأصيب بمرض أفقده حاسة السمع، أو أن يكون الأصم مصابا بصمم متنقل. لمزيد من التفصيل أنظر (2.2) من هذا الفصل.

[2] أنظر دولونك وآخرين (2003)، ص. 2.

بلغة الإشارة عن عدم تطور الاهتمام بهذه اللغة ومعيرتها بالشكل الذي يبوئها أن تستثمر في تنمية الشخص الأصم كي لا يتراجع مستواه من متدني إلى أدنى.

- تركيب:

تتعدد طرق التواصل بالمؤسسات التي تعنى بتربية وإعادة تأهيل شريحة الصم في المغرب، ومرد ذلك إلى أسباب منها:

- سعي المؤطرين إلى الإفهام وإبلاغ القصد.
- عفوية التجربة التي تعد المقوم الأساسي الذي يحدد الطريقة المثلى للتواصل مع الصم.
- ندرة التكوين في هذا المجال.
- عدم الثبات على طريقة قارة ورسمية للتعامل مع هذه الشريحة.
- قلة البحوث العلمية والتجريبية في ميدان لغة لإشارة.
- عدم وضوح رؤية استراتيجية للوزارات المعنية بتوفير تعليم حقيقي للصم.

تعد هذه الأسباب كافية لتبرير سوء توافق المصطلح "لغة الإشارة" مع واقع تنزيله في الميدان، وسيادة الاعتقاد الخاطئ المنتشر الرامي إلى اعتبار كل حركة يدوية أو جسدية في الفضاء تلتقطها حاسة البصر من باب لغة الإشارة. ناهيك عن التردد الكبير الحاصل في الاستقرار على طريقة واحدة للتواصل مع الصم داخل المؤسسات التعليمية.

المراجع والمصادر

احمياني، عثمان 2011. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة بعنوان: "تركيب لغة الإشارة بالمغرب دراسة مقارنة". وحدة البحث: اللسانيات العربية المقارنة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مجمد الخامس الرباط.

سويد، عبد الله عبد الحميد 1983. أبجدية لغة الإشارة العربية. الطبعة الأولى، الدار العربية للكتاب.

القاموس الإشاري العربي للصم 2002. ساهم في إنجازه معهد الكويت للأبحاث العلمية وآخرون.

الكنوني، رشيد 2004-2005. علاقة التنشئة الاجتماعية للأطفال المعاقين باندماجهم الاجتماعي. دكتوراه، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط-أكدال.

المملكة المغربية، كتابة الدولة المكلفة بالأسرة والطفولة والأشخاص المعاقين 2006. البحث الوطني حول الإعاقة خلاصة النتائج. بدعم من الاتحاد الأوروبي.

المندوبية السامية للأشخاص المعاقين 1998. دليل الإشارات الموحد بالمغرب. سلسلة دليل.

منشور لوزارة المعارف والأمانة العامة للتعليم الخاص معهد الأمل للبنين بمكة المكرمة 1998. الأبجدية الإشارية العربية الموحدة في العالم العربي.

مايلز، سوزي وآخرون. مدارس للجميع دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم. ترجمة أيرن متى وفؤاد أبو زهرة.

هيئة السلام الأمريكية بالمغرب 1989. لغة الإشارات في المغرب. الرباط: شركة بابل للطباعة والنشر.

الوزارة المكلفة بأوضاع المرأة ورعاية الأسرة والطفولة وإدماج المعاقين 2002. دليل الإشارة الموحدة بالمغرب. الرباط: التصفيف والطبع Actions Communication.

اليونسكو 1987. تعليم الأطفال والناشئين الصم. كوبنهاجن، الدنمارك: مركز الاتصال الشامل.

Claude O. Proctor, Ph.D. 1995. NTC's Multilingual Dictionary of American Sign Language. NTC Publishing Group.

Rondal, J.A. Henrot, F. Charlier, M. 1986. Le langage des signes. Pierre Mardaga, Editeur. Université de liège.

De Langhe, O. Guitteny, P. Portine, H. Rétoré, Ch. 2003. A propos des structures OSV en langue des signes française.

أبو العطايا، عبد الكريم (2002). https://atayafordeaf.com/guide/ الأسس الإشارية لتعليم الصم العرب/ مدونات عبد الكريم عطايا.